

تمثّلات مالك بن نبي للأزمة التربوية في المجتمعات العربية

Malek Bennabi's Representations of the Educational Crisis in Arab societies

حنان لحبيب بوطورة⁽¹⁾، سميرة إبراهيم منصور⁽²⁾

الملخص:

يهدف هذا البحث التعرف على تمثّلات مالك بن نبي للأزمة التربوية بالمجتمعات العربية تشخيصاً وإصلاحاً، ولبلوغ أهداف البحث والإجابة على تساؤلاته استخدمنا المنهج الوصفي. وقد تم التوصل إلى الاستنتاجات التالية: يحدد مالك بن نبي تشخيص الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية في غياب الفاعلية ضمن شبكة علاقاتها الاجتماعية، ويتجسد الإصلاح في خلق هذه الفاعلية والذي لا يتأتى إلا من توجيه الوسيط الاستراتيجي للفاعلية وهو التربية (الأخلاقية، الجمالية والعملية) نحو ثقافة الاستثمار المجتمعي الذي يقوم على منطق الكيف بدل ثقافة التكديس التي تقوم على منطق الكم، وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة: ضرورة إيجاد استراتيجية تربوية، تعمل على سد الفراغ الاجتماعي الذي أوجدته ثقافة التكديس والمصلحة الفردية الضيقة؛ لتندمج في رابطة مجتمعية، تدعم شروط المعادلة الاجتماعية لهذه المجتمعات بالبناء النفسي لأفراد المجتمع، للخروج من آثار الأفكار الميتة والقاتلة التي أوجدتها الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية.

الكلمات المفتاحية: تربية، أزمة تربوية، تربية أخلاقية، تربية جمالية، تربية عملية.

Abstract :

This research aims to identify Malek Bennabi's representations of the educational crisis in Arab societies, in terms of diagnosis and reform. In order to arrive at its objectives and answering its questions, the Descriptive Approach was adopted. The following conclusions were reached: Malek Bennabi defines the diagnosis of the educational crisis in Arab societies in the absence of effectiveness within the network of their social relations. The reform is embodied in creating this effectiveness which can only come from directing the strategic mediator of effectiveness, which is education (ethical, aesthetic and practical) towards a culture of community investment that is based on the logic of quality instead of the culture of accumulation that is based on the logic of quantity. In light of these results, the study suggests the need to find an educational strategy that bridges the social void created by the culture of accumulation and the narrow individual interest to integrate into a community bond, which supports the conditions of the social equation for these societies with the psychological construction of the members of society, to get out of the effects of the dead and deadly ideas created by the educational crisis in Arab societies.

Key Words: Education, Educational Crisis, Moral Education, Aesthetic Education, Practical Education, Arab Societies

DOI: [10.15849/ZJJHSS.220330.11](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.220330.11)

⁽¹⁾⁽²⁾ مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر ،

تاريخ استلام البحث 2021/11/29 ، تاريخ قبوله 2022/02/09

مقدمة

يشهد الواقع التربوي العربي اليوم أزمة حقيقية، يؤكدّها اتجاه العديد من الدول العربية إلى إحداث تغييرات في مناهجها التربوية لمعالجة الاختلالات البنائية والوظيفية بنظامها التربوي الذي انعكس على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالتردي.

وإن كان من الطبيعي أن يواكب التحولات السياسية أو الاجتماعية الكبرى بالمجتمعات عملية مراجعة لطبيعة المناهج التعليمية تعرف بالعملية الإصلاحية وهو أمر ضروري لنمو أي مجتمع، غير أن هذا الأمر الطبيعي يتحول إلى إشكال اجتماعي يستعصي على الحل، عندما يصبح الإصلاح عبارة عن عملية تبريرية لاتجاهات إيديولوجية بعينها تعبر عن توجهات مصلحة ضيقة لفئة دون الأخرى، لأن ذلك يجعل هذه الإصلاحات مرحلية ووقتيّة وتخلق الصراعات الاجتماعية والفكرية التي تشوش على العملية التنموية وتعطلها.

ويعد مالك بن نبي من المفكرين الجزائريين الذين أقاموا مشروعهم الفكري على نوعية وطبيعة المشكلات التي يواجهها المجتمع العربي الإسلامي خاصة الأزمة التربوية، في وقت كان هذا العالم يعج باتجاهات فكرية متعددة المشارب والمناهج والغايات، بعدما عايش هذه الحركة الفكرية بكل ما تحملها من تناقضات وسلبيات، فكان لهذا الجو الفكري أكبر الأثر في تشكّل مشروعه التربوي الذي نظّر له من خلاله لقضايا التربية وأزمته بالمجتمعات العربية تشخيصا لمشكلاتها وتأسيسا وتشبيها لإصلاحها. وتأسيسا على ما سبق جاءت الدراسة للبحث في تمثّلات هذا المفكر الذي أقامت العديد من الدول العربية وغير العربية نهضتها المجتمعية انطلاقا من مشروعه الفكري لأزمة التربية بالمجتمعات العربية تشخيصا وإصلاحا ومن ذلك تحدد إشكالية هذه الدراسة في التساؤل التالي:

كيف يتمثل مالك بن نبي الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية قمنا بتقسيمها إلى تساؤلين فرعيين كالتالي:

1. كيف يتمثل مالك بن نبي تشخيص الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية؟
2. كيف يتمثل مالك بن نبي المنطلقات الإصلاحية للأزمة التربوية بالمجتمعات العربية؟

-أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. التعرف على تمثّل مالك بن نبي لتشخيص الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية.
2. التعرف على تمثّل مالك بن نبي للمنطلقات الإصلاحية للأزمة التربوية بالمجتمعات العربية.

أهمية الدراسة:

تتضح أهميّة هذه الدراسة من أهمية المتغيرات العلمية والفكرية التي تعمل على دراستها ومكانة المفكر (مالك بن نبي) الذي تبحت في تمثله لها، حيث يعد البحث في مسالك التغيير والخروج من الأزمات البنائية والوظيفية في نظام التربية كنظام استراتيجي شديد الحساسية في تحقيق نهضة المجتمعات التي

تعاني منها المجتمعات العربية المسلمة من أبرز القضايا الفكرية والعلمية التي تشغل الكثير من الباحثين، وهي القضايا التي سخر المفكر مالك بن نبي مشروع التربي للبحث في مختلف أبعادها تشخيصاً وإصلاحاً.

منهجية الدراسة:

بالنظر إلى طبيعة موضوع الدراسة والأهداف المصاغة لها يتضح المنهج الملائم لها وهو المنهج الوصفي الذي تجلى في جمع المعلومات الخاصة بموضوع الدراسة وتحليلها للتوصل إلى إجابات عن التساؤلات المطروحة وبلوغ أهداف الدراسة.

أما عن هيكلية البحث فقد جاء في مبحثين، تطرقنا في المبحث الأول المعنون بـ: مدخل عام إلى الأزمة التربوية عند مالك بن نبي وتضمن مدخل مفاهيمي، تمثلات مالك بن نبي لمستويات الأزمة التربوية، تمثلات مالك بن نبي لأبعاد الأزمة التربوية، والمبحث الثاني بعنوان: تمثلات مالك بن نبي للأزمة التربوية بالمجتمعات العربية وتضمن: تمثلات مالك بن نبي لتشخيص الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية، تمثلات مالك بن نبي لنتائج الأزمة التربوية على المجتمعات العربية، ثم تمثلات مالك بن نبي للمتطلبات الإصلاحية للأزمة التربوية بالمجتمعات العربية، وأخيراً تطرقنا لخاتمة ذكرنا فيها أهم ما توصلنا له من نتائج وتوصيات هذه الورقة البحثية

المبحث الأول: مدخل عام إلى الأزمة التربوية عند مالك بن نبي

المطلب الأول: مدخل مفاهيمي

1. التمثلات الاجتماعية:

يرى إميل دوركايم أن التمثلات الجمعية هي الخبرة المشتركة للجماعة وتشتمل على المشاعر والأفكار والمعتقدات الجمعية وتشير إلى نظرتهم للعالم وتحدد طريقة تعاملهم معه، كما تشكل الهوية التي تميز الجماعة عن غيرها.⁽¹⁾

- وعرفها أبريك بأنها: "رؤية وظيفية للعالم تسمح للفرد أو الجماعة بإضفاء معنى على تصرفاتهم وفهم الواقع، عبر نسق مرجعيتهم الخاص وبالتالي التأقلم وتحديد موقعهم"⁽²⁾

- ويعرف سيرج موسكوفيتشي التمثلات الاجتماعية في مقدمة كتابه التحليل النفسي صورته وجمهوره (1961) بأنها: "شكل خاص من المعرفة ومجموعة من القوانين العلمية المنظمة وهي إحدى العمليات النفسية التي بفضلها يستطيع الأفراد جعل الواقع النفسي والاجتماعي مفهوماً وواضحاً"⁽³⁾

⁽¹⁾ أحمد السيد، سميرة مصطلحات علم الاجتماع، مكتبة الشقيري، السعودية، 1997، ص 35.

⁽²⁾ مناح رفيق، تحليل سوسولوجي لديناميكية التشغيل بإقليم تبسة- دراسة ميدانية حول التمثلات الاجتماعية للمسلمين بالوكالة الولائية للتشغيل، (مذكرة شهادة الماجستير)، جامعة باجي مختار، عنابة، ص 19.

⁽³⁾ بن ملوكة شهنواز، التمثلات الاجتماعية للمعرفة المدرسية لدى التلاميذ الذين تظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة (أطروحة دكتوراه)، وهران: جامعة وهران، وهران، 2014، ص 20.

- وذهب بيار بورديو إلى أن التمثّلات الاجتماعية عبارة عن معاني وأفكار مشتركة تحملها جماعة معينة كالأسرة لتعبر عن خصوصيتها في مقابل الآخر الخارجي، تحدد هويتهم التي يشتركون فيها ويفسرون من خلالها الواقع، وتحمل صفة الالتزام لكل تفكير عاقل داخل الجماعة.⁽¹⁾

وانطلاقاً مما سبق يمكن تعريف التمثّلات الاجتماعية في هذه الدراسة بأنها مجموعة الأفكار الاجتماعية التي يبنيناها المفكر مالك بن نبي انطلاقاً من الحس الاجتماعي المشترك لمجتمعه وخصوصيته الفردية، ويفسر من خلالها الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية تشخيصاً وإصلاحاً.

2. مفهوم التربية عند مالك بن نبي:

بين مالك بن نبي أن التربية عملية اجتماعية وعلاقة جدلية تنشأ من خلال التفاعل العملي بين الفرد والمجتمع، في جو ثقافي يمتص الفرد عناصره التي تشكل أسلوب حياة المجتمع في أبعاده الثلاث (الجمالي، العملي، الفني أو الصناعي) وبمظاهره المادية (روائح، أصوات، ألوان) والفكرية (اللغة، القيم والمعايير، العادات والتقاليد) منذ مهده وتظهر من خلالها السمة الإنسانية للأفراد، كما أنها تعبير عن التزام بين الفرد والمجتمع؛ للحفاظ على استمرار الحياة الاجتماعية، وتوجد إمكانية التعايش والتواصل والتعاون بين المجتمعات المختلفة.⁽²⁾

وقد صاغ بن نبي مفهوم التربية كالتالي: "ليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع، على عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، وليست هي من إنتاج المتعاملين وبحار العلوم، الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم دون أن يلموا بما تترجم عن هذه الكلمات من وقائع، خيراً كانت أو شراً... بل هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شروط الوجود نحو الأحسن دائماً، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شروط الوجود نحو الأحسن دائماً، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ"⁽³⁾

ويذهب مالك بن نبي إلى اعتبار التربية كعملية اجتماعية بأنها: "عملية تثقيف متواصل تقوم بتكوين عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد أي في بنية إنسان ما بعد الموحدين أو ما بعد الحضارة"⁽⁴⁾

(1) بزاز عبد الكريم، علم اجتماع بيار بورديو، (أطروحة دكتوراه العلوم)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 11-54.

(2) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 90-115.

(3) بوترة إبراهيم، نقيل بوجمة، التنظير التربوي والمدرسة الحضارية في الفكر الإسلامي المعاصر: النظرية التربوية عند مالك بن نبي نموذجاً (1905-1973)، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، المجلد 1 (العدد 2)، الصفحات 59-73، دت، ص 63، 64.

(4) إبراهيم الطاهر، بكوش عبد اللطيف، ملامح الفكر التربوي عند مالك بن نبي، مجلة المداد، المجلد 1 (العدد 2)، الصفحات 7-17، دت، ص 12.

وهي أيضا عملية تنمية فعل واع لدى الأفراد هادف إلى بلوغ ما ينشده الفرد والمجتمع، وهي عملية تثقيف مستمرة تنقل وتنتشر الأفكار والقيم والمعتقدات مشكلة بذلك الإطار المرجعي للتفاعل الاجتماعي.⁽¹⁾ وتأسيسا على ما سبق يمكن تعريف التربية عند مالك بن نبي على أنها عملية ثقافية واستراتيجية اجتماعية يستثمر من خلالها المجتمع في توجيه قدرات الأفراد والجماعات توجيهها فكريا، وروحيا نفسيا، وعمليا بهدف تحقيق التوازن الاجتماعي لبلوغ مرحلة الإنجاز الحضاري.

3. مفهوم الأزمة التربوية عند مالك بن نبي:

يرى مالك بن نبي: أن الأزمة التربوية أزمة يعيشها مجتمع ما وتؤثر على الحياة الاجتماعية وتعبر عن تكيف لا سوي للأفراد داخل المجتمع؛ نتيجة حرمانهم من جو ثقافي سليم، تظهر على المستوى الفردي في شكل سلوكيات: كالعزلة الاجتماعية والتفوق والهروب من المسؤولية، وعلى المستوى المجتمعي في شكل عجز عن إنتاج الأفكار لمواجهة مشكلاته والعجز عن التعايش السوي مع باقي الثقافات⁽²⁾

المطلب الثاني: تمثلات مالك بن نبي لمستويات الأزمة التربوية

1. الأزمة التربوية الجزئية:

وتكلم مالك بن نبي عن الأزمة التربوية في مستوياتها الجزئية، بوصفها وضعيّة تفرض على الفرد تعلم ثقافة غير ثقافته، عندما وصف المهاجرين الجزائريين بفرنسا قبل اندلاع الثورة ممن كانوا لا يملكون القدرة على جعل أبنائهم يتواصلون مع وطنهم وثقافتهم، ويجبرون على تعليمهم في مدارس لا تعلمهم شيئا عن تاريخهم أو ثقافتهم، فيقول في وصف حال أم جزائرية مهاجرة بفرنسا سنة 1954، والتي أجبرت على أن ترسل ابنها ليغترب عن ثقافته: "لقد كانت المرأة هذه ترى، والأسى يفتت قلبها، أن أطفالها لا يجدون في المدرسة التي يترددون عليها في باريس، أي معلومة عن تاريخ بلادهم، ولا أي توجيه ثقافي يتلاءم مع عادات وتقاليد الوطن ولا أي شيء يربطهم بمصيره"⁽³⁾

وبالتالي تحدث الأزمة التربوية في مستواها الجزئي على مستوى السلوك، حين يتعلم الأفراد كيف يسلكون وفق معايير مخالفة للثقافة الأصلية للوطن، أين يفكك ذلك الالتزام القائم على قواعد الثقافة الأصلية بين الفرد والمجتمع، فتتغير سلوكيات الأفراد وتنتج سلوكيات تتعارض مع الثقافة الأصلية، في حين تظل المفاهيم على حالها، ويمكن إذا لم يتدارك الوضع أن تنمو هذه الأزمة إلى أن تصل إلى مستوى الفكر أين تكون نقطة اللارجوع، وتعتبر درجة إخفاق المجتمع في مواجهة مشكلاته بمختلف الميادين عن درجة أزمته التربوية⁽⁴⁾

(1) المرجع نفسه، ص14.

(2) مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 91، 92.

(3) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: بين الرشاد والتهيه، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002، ص58.

(4) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص90-92.

2. الأزمة التربوية الكلية:

وتعبر عن الحالات الشاذة للأزمة التربوية، إذ يكون تأثيرها في نفس وفكر وسلوك الفرد وبناء المجتمع عميقاً، بحيث يدرك فيها الفرد الموت الكلي لثقافة مجتمعه من حيث فاعليتها ووصولها إلى نقطة اللارجوع، فلا يعود يعيرها أهمية ويعزو فشله في الحياة إلى التمسك بها، ويهاجر نفسياً إلى ثقافة أخرى يتلقى منها آليات تسيير أمور حياته، فيصبح غريباً على ثقافة انتمائه وهو يعيش ضمنها، كما لا يعود يملك انتماءً حقيقياً إلى أي من الثقافتين، فلا ينفصل كلياً عن ثقافته لأنه يعيش ضمنها ولا يتصل بالثقافة الأجنبية كلياً، ويؤثر هذا الوضع سلباً على المجتمع ككل؛ فتنعكس فيه الموازين ويعجز عن حل مشكلاته داخل حدود معادلته الاجتماعية، وعن التواصل مع الآخر خارج إطار العقد النفسية، من نظرية المؤامرة إلى نظرية الانسلاخ عن الأصل وإهانة الكرامة، ويكون هذا الوضع نتيجة حرمان الفرد من جو تربوي سليم داخل مجتمعه منذ البداية.⁽¹⁾

ويضرب مالك بن نبي مثلاً على هذا النوع في صورة المولود الذي تموت أمه على حافة الطريق فتأتي غزاةً مثلاً تأخذه لينشأ في قطعان الغزلان، فلا هو يصبح حيواناً بالكلية؛ لأن الوضع الذي فرض عليه التكيف بتعلم المشي على أربع يضل عاجزاً على تعليمه غريزة الحيوان الحقيقي التي يواجه بها مختلف ظروف حياته، كذلك لا يمكن أن نطلق على هكذا إنسان صفة الإنسانية الحقة لأنه فقد أسس التعامل مع الجماعة وانطوى على ذاتيته، يقول مالك بن نبي عن هذا الإنسان المغترب في وضع خارج عن بيئته الحقيقية: "ولكن هذا الفرد الذي فقد إنسانيته في حالة نادرة لم يستطع، ولم يكن له أن يكتسب حيوانية خالصة، فلو أردنا أن نحدد مكانه في سلم الحياة لاضطررنا أن نضعه دون الحيوان، بينما كل إنسان ولو كان أقبح خلق الله يبقى فوق مستوى الحيوان بكثير"⁽²⁾

المطلب الثالث: تمثّلات مالك بن نبي لأبعاد الأزمة التربوية:

1. الأزمة الأخلاقية:

وهي شكل من أشكال الأزمة التربوية وبعد من أبعادها؛ تتجسد في انحدار الفعل الأخلاقي التاريخي إلى الارتباط بكل ما هو شخصي وظرفي ونفعي أناني، وهو ما يتعارض مع العمل الجماعي الضروري بالنسبة لمالك بن نبي لأي تجربة نهضوية⁽³⁾

2. الأزمة الروحية:

وتتمثل في حالة من فوضى القوى الخفية التي تعلق بها الإنسان العربي وانتكس عن روح الدين إلى الخيال الساذج الذي سيطر على المعتوهين في الإنسان المسلم ما بعد الموحدي، ليسيح في عالم

(1) المرجع نفسه، ص92.

(2) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص92.

(3) رباني الحاج، الإنسان والوعي التاريخي: قراءة في فكر مالك بن نبي، مجلة الناصرية، خير البحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد4(العدد1)، الصفحات 545-555، جوان 2013، ص550-553.

الأحلام والوهم والاستقرار الأبله الذي كان ولا يزال في كثير من مناحي حياته ويعيشه اليوم العالم العربي الإسلامي وقد جعلت الدين والقيم الدينية ثروة اجتماعية معطلة به فقدت فاعليتها التربوية حينما انفصل الفرد عن روابطه الاجتماعية⁽¹⁾

3. الأزمة الجمالية:

يتكلم مالك بن نبي عن انهيار الذائقة الجمالية بالمجتمعات العربية، بوصفه بُعداً من أبعاد الأزمة التربوية بها وسببا في عجزها على أن تصنع التاريخ وتدير نهضتها، كون غيابها بهذه المجتمعات يوجد حالة من الكسل والخمول النفسي والتفريط بالحياة، بصورة تشوه الحس الجمالي؛ ليصبح القبح معبرا عن الجمال لدى الأفراد بالمجتمع، مثل تقليد الشباب اليوم لأبطال السينما في إطالة الشعر واستخدام المساحيق واعتبار ذلك ضربا من ضروب الفن، في حين أنه ضرب من الجنون والقبح الذي يقعد الهمم، ويجعل سواعدهم لا تقوى على إقامة ركائز النهضة.⁽²⁾

يقول مالك بن نبي: " فالطفل الذي يلبس ملابس بالية وثياب قذرة... مثل هذا الطفل الذي يعيش جسمه وسط هذه القاذورات والمرقعات غير المتناسبة، يحمل في المجتمع صورة القبح والتعاسة معا، بينما جزء من ملايين السواعد والعقول التي تحرك التاريخ، ولكنه لا يحرك شيئا إلا نفسه قد دفن في أوساخه، ولن تكفينا عشرات الخطب السياسية لتغيير ما به من قبح، أن هذا الطفل لا يعبر عن فقرنا المسلم به بل عن تقريطينا في حياتنا"⁽³⁾

وتأسيسا على ذلك فإن الأزمة الجمالية بالمجتمعات العربية عند مالك بن نبي لا ترتبط بالفقر المادي؛ وإنما بالتفريط في الحياة، واللامبالاة الثقافية، والفقر الأخلاقي.

4. الأزمة الهيكلية: وتتجسد فيما يلي:⁽⁴⁾

- عجز أفراد المجتمع على تسيير جهودهم الجماعية في اتجاه واحد، وأن يشترك جميع أعضاء المجتمع في الأهداف الرئيسية للنهضة.
- التفكير السلبي بالعمل كعملية عشوائية غير هادفة وضرورية للوجود وتحقيق التنمية والنهضة
- تركيز الأفراد والتوجهات الاجتماعية -في المجتمعات العربية- على تكديس أشياء الحضارات الأخرى كسبيل لبلوغ الحضارة واهتمامهم بالكم على حساب الكيف.
- عجز الأفراد والسياسات الاجتماعية بهذه المجتمعات عن معرفة الكيفية التي تحول بها ثرواتها الاجتماعية إلى رأس مال ذو قيمة اجتماعية، فعّال في تحقيق النهضة.

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، 1976، ص36-56

(2) عمران، وفاء، التوجيه الجمالي ودوره في تركيب الثقافة (مقاربة حضارية لـ مالك بن نبي)، مجلة أبعاد/مختبر الأبعاد القيمية للتحويلات الفكرية والسياسية بالجزائر، المجلد7(العدد1)، الصفحات 211-224، 30 جوان 2020، ص220.

(3) عمران وفاء، المرجع السابق، ص 219

(4) بوترعة بلال، الفكرة الدينية وبناء الحضارة عند مالك بن نبي. مجلة المداد، المجلد1(العدد2)، الصفحات 170-181، د.ت، ص 175.

- عجز الأفراد وصناع القرار بالمجتمعات العربية على التفرقة بين الثروة التي تسعى لسد حاجات صاحبها المحدودة والضيقة، ورأس المال بما له دور في تحرك دور الاقتصاد وتلبية الحاجيات الاجتماعية لأفراد المجتمع، وأن الثروة توجد الركود ورأس المال يخلق النشاط والاستدامة.

المبحث الثاني: تمثّلات مالك بن نبي للأزمة التربوية بالمجتمعات العربية

المطلب الأول: تمثّلات مالك بن نبي لتشخيص الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية

يقول مالك بن نبي: "لقد غرس هذا التطور في حياتنا عددا من المتناقضات، في أشياء مضحكة أحيانا ومبكية أخرى، فأب كريم ينتحر إثر موبقة ارتكبتها ابنته، التي كانت تتعلم فلم تعرف كيف تتشبهه بالفتاة الأوروبية المتعلمة، نعم إن مجتمعنا قد فقد توازنه القديم وهو لا يزال يتذبذب ولا يعرف له قرار حتى اليوم، وإنما لنشاهد عدم الاستقرار هذا في أنفسنا، وفي تصوراتنا للأشياء، حين تختلف باختلاف الناظرين إليها"⁽¹⁾

ويرجع مالك بن نبي هذه الأزمة التربوية الأخلاقية بالمجتمعات العربية، إلى جذور تاريخية ترجع إلى معركة صفين، حيث تم استبدال قيم الديمقراطية والشرعية، بقيم العصبية والمكر والخديعة، التي غيرت النظام السياسي إلى ملكي، بعدما كان يقوم على الشورى، ويرى أن التغيير لم يطل النظام السياسي فحسب؛ وإنما تسبب في تأزم الإنسان المسلم بانفصاله عن قيم الإسلام للعودة إلى قيم العصبية في ثقافته العربية التي تخلى عنها عندما آمن بالإسلام.

ويسمي مالك بن نبي هذه اللحظة: لحظة انكسار قيم الإسلام، وانقلاب القيم داخل الحضارة الإسلامية، أين فقد الإنسان المسلم في تلك اللحظة قيمه ومعاييره الإنسانية، التي جاء بها الإسلام وانفصل عن الحياة الاجتماعية؛ ليعود القهقري إلى القيم البدائية في الثقافة العربية، ثم كان سقوط الدولة الموحدية آخر الأنفاس التي تفظها الحضارة الإسلامية؛ ليبدأ تاريخ الانحطاط بإنسان ما بعد الموحدى ففي عهد ابن خلدون تحولت القيروان إلى قرية مغمورة بعدما كانت في دولة الأغالبة في قمة الملك، وكذلك الحال بالنسبة لبغداد؛ فقد تخلى هذا الإنسان عن قيمه الحضارية الإسلامية واغترب عنها، ليعود إلى قيم البدو ثم جاء الاتصال مع الحضارة الغربية ليزيد الأمر سوءا.

ويرى مالك بن نبي أن الغرب وإن كان جاء بنظرة استعلائية؛ ليحطم الموروث الثقافي للمسلمين، إلا أنه كان له الفضل في إخراج العالم الإسلامي من فوضى القوى الخفية التي تعلق بها، وانتكس عن روح الدين إلى الخيال الساذج، الذي سيطر على المعتوهين الذين انفصلوا عن الواقع ليسيحوا في عالم الأرواح والخيال والأوهام ففقدوا روح الإبداع وأصيبوا بالعجز الثقافي، العجز الذي طال قدراتهم الفكرية على إنتاج المعاني والمفاهيم والأفكار، شبه مالك بن نبي الغزو الأوروبي بالديناميت الذي فجر عالم الأحلام والوهم والاستقرار الأبله، الذي كان يعيشه العالم الإسلامي، حيث أوجده في وضع مأزقي يتطلب

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1976، ص157.

منه المحافظة على الحد الأدنى من كرامته كمسلم على الرغم مما يعانيه من انحطاط ، وفي الوقت ذاته ، هو مطالب بضمان قوته ولا شيء بلا مقابل، وكان المقابل الذي طالب به الاستعمار ثمينا فقد طالب المسلم بالتخلي عن قيمه ومعاييره ومبادئ حضارته الإسلامية في مقابل قوته ، فوجد ذاته مجبوراً أن يبيع هويته التي تخلق عنها منذ زمن لصالح القيم البدائية، في مقابل تبني قيم جديدة تلائم الحياة التي فرضت عليه للحفاظ على بقائه؛ فانقسم العالم الإسلامي إلى تيارين: الأول سعى للحفاظ على القدر الضئيل الذي تبقى من الحضارة الإسلامية وقيمها، وأخر ركز على المصلحة وتخلي على ضمير الإسلام في مقابل الحصول على مصالح وقتية.

ويرى مالك بن نبي أن المسلم لم يتخلّ قط عبر العصور عن عقيدته الإسلامية؛ لكن الاغتراب الذي صار يعاني منه هو نتيجة الازدواجية في الفكر، التي جعلت الدين والقيم الدينية تفقد فاعليتها حينما انفصل الفرد عن روابطه الاجتماعية التي هي قوام الدين الإسلامي لصبح إسلامه فردياً مقتصرًا على طقوس يمارسها دون أن يعي بعدها الاجتماعي، حيث غابت القيم الحضارية للإسلام تحت أثقال العادات والتقاليد البالية، ثم جاءت القيم الفردية للحضارة الغربية لتقطع آخر صلة تربوية للمسلم بروح دينه، وتجعل الأجيال الجديدة جسداً بلا روح بانفصاله عن الجماعة، فالأزمة التربوية يحدث عندما تفقد القيم والمعايير بعدها التاريخي والاجتماعي في نفس الفرد فينبذها⁽¹⁾

ولا ترتبط الأزمة التربوية بالصراعات النفسية، التي يمكن أن يعاني منها الأفراد؛ بل بالصراع الحضاري داخل مجتمع ما بين ثقافة محلية وأخرى أجنبية، أي أنه يرتبط بأسباب موضوعية خارجة عن ذات الأفراد، حيث يرى مالك بن نبي، أن الأفراد يتكيفون مع البيئة التي يعيشون ضمنها، وبالتالي فالمجتمع الذي لا يوفر للأفراد جو تربويًا سليماً من التناقضات والاضطرابات، لا بد أن تكون فيه أزمة تربوية على مستوى الأفراد⁽²⁾

المطلب الثاني: تمثيلات مالك بن نبي لنتائج الأزمة التربوية على المجتمعات العربية

تتجاوز نتائج الأزمة التربوية وآثارها الإطار النفسي والشخصي للأفراد كفاعلين داخل المجتمع، وإنما تشمل نتائجها المستوى الفردي والاجتماعي معاً، إذ يوضح مالك بن نبي أن الأزمة التربوية تترك آثاراً على الفرد والمجتمع على حد سواء كالتالي:

1. نتائجها على المستوى الفردي:

تجعل الأزمة التربوية الأفراد بالمجتمعات شبه فاقدٍ لمقومات إنسانيتهم التي يكتسبونها من خلال الإطار التربوي للمجتمع، فبعد أن يفقد المجتمع الهوية الثقافية الخاصة به؛ نتيجة الأزمة التربوية، يسعى الفرد إلى التكيف مع الأوضاع الجديدة من خلال أنماط سلوكية مرضية نابعة من أهوائه الفردية؛ بسبب

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 36-56

(2) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 93

فقدانه للعقل الثقافي الجمعي الموجه له نتيجة استبدال معيار القيم الثقافية في الحراك الاجتماعي بمعيار المصلحة الفردية، فتظهر عليه علامات اليأس والتفوق والعجز عن تحمل المسؤولية وكذا العجز عن التفاعل الاجتماعي⁽¹⁾

وعموماً تظهر نتائج الأزمة التربوية على المستوى الفردي كما بين ذلك بن نبي في صورتين رئيسيتين، ترتبط الأولى: بالانسحاب السلبي والتفوق والعزلة الاجتماعية، والثانية ترتبط بالتمرد وإتباع الفرد لثقافة مضادة للمجتمع⁽²⁾، ويقول مالك بن نبي: "إن أشكالاً جديدة من السلوك بدأت نراها في الجزائر مثلاً، وهي ليست من عاداتنا، وهي موجودة في سائر بلاد العروبة والإسلام، فمن تلك الأشكال مثلاً: تلك الأوضاع المثيرة التي تتخذها الفتاة لتلفت الأنظار إليها، وتخفق لها القلوب، وذاك الشاب ذو الشعر الطويل الذي يتحاشى النطق بالراء فينطقها (غينا)"⁽³⁾

2. نتائجها على المستوى المجتمعي:

بين مالك بن نبي أن اقتصاد أي بلد يتضمن معادلة اجتماعية نابعة من وعيه الحضاري والأزمة التربوية تفصل الأفراد عن الوعي الحضاري لمجتمعاتهم ولها مظاهر وآثار على مستوى الفرد والمجتمع فالأفراد يصبحون مقلدين لغيرهم من الثقافات في الحاجات التي لا تصدر عن إطارهم الحضاري كما أن هذا التقليد يقوم على الطابع الاستهلاكي فالأزمة التربوية تسبب عجز العقول عند الأفراد عن إنتاج الأفكار التي يواجهون بها مشكلاتهم الاقتصادية، كما أن المجتمع يصير غير قادر على الخروج من دائرة استيراد الأفكار كلما واجهته مشكلة اقتصادية حيث لا تقدر قيادات الدولة على الاعتماد على حلول محلية بسبب العجز الثقافي للأفراد وعدم قدرتهم على الابتكار، ويرى مالك بن نبي أن الانفصال بين الإرادة الحضارية والنشاط الاقتصادي في بلد ما يسبب العجز في هذا القطاع الهام حتى ولو وفرت له أموال الدنيا وكل الإمكانيات المادية، ويقول في ذلك "العلاقة النسبية بين الإمكان الحضاري والإرادة الحضارية علاقة سببية تضع الإرادة في رتبة السبب بالنسبة للإمكان"⁽⁴⁾

كما ينتج عن الأزمة التربوية على المستوى المجتمعي شعوراً لدى أفراد المجتمع بانفصالهم عن الأهداف والقوانين الثقافية التي تحدد مصيرهم بالمجتمع، وتجعلهم غير مبالين أو عاجزين عن التفاعل الإيجابي معها، فلا يكونون أكثر من مقلدين لتلك القوانين في واقعهم، وهذا ما يؤدي إلى بروز اللامعيارية، وإتباع قوانين المصلحة الفردية؛ لتحقيق أهداف هي بدورها منفصلة عن الإطار المجتمعي، كما يمكن أن يسبب غموض الأهداف العامة، غموضاً موازياً في الأهداف الخاصة للأفراد، أين تصير حياتهم بلا هدف ولا معنى واضح.

(1) المرجع نفسه، ص 92، 93.

(2) المرجع نفسه، ص 94.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 156.

(4) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ط 3، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 7-62.

فمثلا يفترض أن يقوم الحراك الاجتماعي على أساس التوازي بين سلم القيم الثقافية والسلم الاجتماعي، اللذين يسيران في المجتمع المتوازن في اتجاه واحد من الأسفل إلى الأعلى، فكما ارتقى الفرد في سلم الثقافة لازم ذلك ارتقائه في السلم الاجتماعي، وتكون المراكز الاجتماعية موزعة بحسب درجات الثقافة، أي أن الثقافة ودرجة المعرفة هي المعيار الذي يقوم عليه الحراك الاجتماعي، وتسير في اتجاه واحد مع السلم الاجتماعي من الأسفل إلى الأعلى في المجتمع السليم ثقافيا، أما المجتمع الذي يعاني من أزمة ثقافية فإن معيار المعرفة يغيب في ظل وجود معايير أخرى لا علاقة لها بالكفاءة، حتى يصبح أجهل الأفراد وأكثرهم اغترابا عن ثقافة المجتمع في قمة السلم الاجتماعي ويقودون المجتمع.⁽¹⁾

وعند بلوغ المجتمع هذه الدرجة من الأزمة التربوية، فإنه يصبح عاجزا ثقافيا عن إنتاج الأفكار والمعاني التي يواجه من خلالها مشكلاته داخل حدوده؛ لأن الذين من ينتجون الأفكار في قاعدة المجتمع ولا يستطيعون بلوغ أماكنهم المفترضة في قيادة المجتمع نحو الإبداع والإنتاج، فتلجأ القيادة العاجزة ثقافيا إلى استيراد الأفكار الجاهزة من مجتمعات تختلف عنه في أطر الثقافة القائمة، مما يزيد في حالة الأزمة التربوية داخل المجتمع حيث لا يعود المجتمع قادرا على التعايش مع باقي الثقافات إلا من منطلقين متناقضين كل منهما أسوء من الآخر، فالأول منطق التوقع والتعصب الثقافي والثاني الانهزامية أمام ثقافة الآخر، فالأول يعرض الشخصية للتلف وعدم النمو والثاني يعرض الكرامة للمهانة.⁽²⁾، ويقول مالك بن نبي: "إذا كان العلم دون ضمير ما هو إلا خراب الروح" فإن السياسة دون أخلاق ماهي إلا خراب الأمة"⁽³⁾

كما تتجلى الأزمة التربوية مجتمعا على المستوى السياسي في صورة عجز السياسة عن صوغ أهدافها وفق إيديولوجية منسجمة مع ثقافة الأفراد، يشعر معها كل فرد أنها تعنيه شخصيا، ولا يمكن أن تحرك الجماهير للتفاعل معها، كما أن الأهداف السياسية التي لا تستند أيديولوجيتها إلى عقيدة متينة في جذور المجتمع وتقوم على الأهداف المادية والوقتية، لا تستطيع أن تمنع الاغتراب السياسي للأفراد، لأنه بعد حالة الإشباع لتلك الرغبات ما تلبث أن تفتقر حماسة الجمهور وترجع إلى حالة اللامبالاة، ومنه فالأهداف النابعة من العقيدة المشتركة من شأنها أن تقوى الرابطة بين الفرد والدولة وتشحن الطاقات الاجتماعية لتحقيق الأهداف العامة التي ليست الغاية منها مصلحة وقتية، إنما الغاية هي بناء حضارة مشتركة وقوية، فذلك يقوي انتماء الأفراد لهذه الأهداف والى السياسة التي تنفذها⁽⁴⁾

وقد شبه مالك بن نبي السياسي الذي يتصور أن حدود السياسة تتوقف عند جمع الأصوات الانتخابية، دون أن تكون له دراية بثقافة مجتمعه أو النظرة المنقصة التي تمكنه من التعرف على خبايا

(1) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، المرجع نفسه، ص94.

(2) المرجع نفسه، ص94.

(3) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: بين الرشاد والتيه، مرجع سابق، ص88

(4) المرجع نفسه، ص81-84.

المشكلات والتعمق في فهمها، ويعتقد أن ذلك قمة الواقعية، بالعجز التي تتصور أن أفكارها المسبقة تمثل عالم الأفكار الماضية والحاضرة والمستقبلية، وأن حدود مكان إقامتها هي حدود الكون، أي أن الفصل بين السياسة والثقافة يجعل نظرة السياسي قاصرة عن رؤية عمق المشكلات الواقعية التاريخي والنفسي والاجتماعي ويقيم له حدود تتوقف عند كرسي الحكم، فتفصل أهداف السياسة عن الواقع الاجتماعي للأفراد ويحدث اغتراب سياسي يقف عائقا أمام وجود أي مشروع مجتمعي حقيقي⁽¹⁾، كما يرى مالك بن نبي الاستعمار فشل في أن يجعل أفراد الشعوب المستعمرة تتبعه في أهدافه؛ لأنها لم تكن ترى فيها إلا مصالح خاصة بالمستعمِر ولا تشعر بانتمائها لها ، كما أنها كانت تختلف في منطلقات الثقافية مع المستعمِر، لهذا سعى المستعمِر إلى فصل هذه الشعوب عن ثقافتها القائمة على عقيدة الإسلام بجعلها لا تنتمي إلى أي عقيدة أو تنتمي لثقافة المستعمِر لتسهيل قيادتها نحو أهدافه.⁽²⁾

المطلب الثالث: تمثّلات مالك بن نبي للمتطلبات الإصلاحية للأزمة التربوية بالمجتمعات العربية

يقر مالك بن نبي بأن علاج الأزمة التربوية بالمجتمعات العربية يرتبط بالمستوى الذي تكون فيه، ويتم تحديده من خلال درجات العجز التي يظورها المجتمع وأفراده في مواجهة مشكلاتهم المختلفة داخل حدود المعادلة الاجتماعية لثقافتهم، فأما المستويات البسيطة منها فيمكن تداركها بإجراءات بسيطة كالإصلاح التربوي، أما المستويات المعقدة فيرتبط إصلاحها بالثورة التربوية الشاملة⁽³⁾، ويقول مالك بن نبي في ذلك: "إن قضيتنا منوطة بذلك التركيب الذي من شأنه إزالة التناقضات والمفارقات المنتشرة في مجتمعنا اليوم، وذلك بتخطيط ثقافة شاملة، يحملها الغني والفقير، والجاهل والعالم، حتى يتم للأنفس استقرارها وانسجامها مع مجتمعا، كذلك المجتمع الذي سوف يكون قد استوي على توازنه الجديد"⁽⁴⁾ وتأسيسا على ذلك فإن تجاوز المجتمعات العربية للأزمة التربوية ونتائجها السلبية عليها أفرادا وجماعات، يكون من خلال مقومات التربية الاجتماعية عملية استراتيجية محورية في الإصلاح والتقويم لما انهار من منظومة قيمية ومعيارية بهذه المجتمعات ليس على المستوى النظري فحسب، وإنما في إيجاد الفاعلية المجتمعية لتلك الأفكار والقيم التي تعلم للأجيال الجديد ويمكن فيما يلي تحديد الأبعاد الأساسية للتربية الاجتماعية الفعالة في تجاوز تبعات الأزمة التربوية بالفضاء السوسيو-ثقافي للمجتمعات العربية كالتالي:

1. التربية الأخلاقية ودورها في تجاوز المجتمعات العربية للأزمة الأخلاقية:

يربط مالك بن نبي بين النمو الأخلاقي وبين الإنسان ككائن تاريخي يسعى لإقامة الحضارة، إذا يسمح السمو الروحي الذي توجده التربية الأخلاقية بما ترسخه من مبدأ أخلاقي في الإنسان، بالارتقاء

(1) مالك بن نبي، العفن، ترجمة: نور الدين خندودي، ج1، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص92، 93.

(2) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: بين الرشد والتهيه، المرجع نفسه، ص85.

(3) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، المرجع نفسه، ص91-94.

(4) مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص109.

بطبيعته الغريزية لتكون مصدر للبناء الحضاري، وقد تكلم مالك بن نبي عن التربية الأخلاقية، بوصفها من أساسيات قوة شبكة العلاقات الاجتماعية التي من دونها لا يمكن تحويل الثروات المتاحة للمجتمع إلى استثمار قابل للتداول وإنتاج النهضة، والخروج من الأزمات بمختلف أشكالها ومنها الأزمة التربوية، فالتربية الأخلاقية كموجه لشبكة العلاقات الاجتماعية تقوي التلاحم الوجداني بين أفراد المجتمع من خلال تعزيز الثقة كركيزة لهذه الشبكة، ودونها لا يمكن للأفراد إلا التوجه نحو تحقيق أمجاد فردية تقوم على مبدأ التكديس للثروات والمصلحة الشخصية، وهذا ما يجعل من المستحيل الخروج من بوتقة الأزمة التربوية.

2. التربية الروحية ودورها في تجاوز المجتمعات العربية للأزمة الروحية:

تقوم التربية الروحية عند مالك بن نبي على إخراج الفكرة الدينية بالمجتمعات العربية من حالة الركود، إلى حالة الفاعلية، كعدة دائمة لإنتاج روح التنمية ضمن البناء الفكري التربوي للمجتمع، ولا يتكلم مالك بن نبي عن التربية الروحية باعتبارها عملية إحياء ديني روحي يعمل على انتكاس الفاعلية ويجعل أفراد المجتمع ينفصلوا عن الواقع ليسيحوا في عالم الأرواح والخيال والأوهام فيفقدوا روح الإبداع ويصابوا بالعجز الذي يطال قدراتهم الفكرية على إنتاج المعاني والمفاهيم والأفكار القابلة للاستثمار الاجتماعي لإنتاج الحضارة، بل يتحدث عنها باعتبارها عملية تقوم على تنمية الانبعاث الروحي لدى أفراد المجتمع بصفته تحويل الفكرة الدينية من ثروة فكرية إلى رأس مال فكري قابل للحركة والدوران والاستثمار العملي.⁽¹⁾

3. التربية الجمالية وتنمية رأس المال النفسي بالمجتمعات العربية:

تهدف التربية الجمالية عند مالك بن نبي إلى إيجاد الإنسان كريم والمحسن في عمله، الذي يدرك حقوقه في تنمية الحياة والاستمتاع بها، دون إسراف يضر بحقوق غيره من البشر، وإن لم يكونوا قد وجدوا بعد، وترتبط التربية الجمالية عنده ارتباطاً وثيقاً بتنمية المبدأ الجمالي في نفوس الأفراد بوصفه تهيئاً للنفوس، يحفز هم الأفراد في النهضة إلى ما هو أبعد من المصلحة الفردية الضيقة، وإذا كان النشور في الجانب الجمالي ومظاهره بالواقع الاجتماعي موجوداً، فإن ذلك يشير حتماً إلى نشور في المبدأ الأخلاقي وقصور بالتربية الجمالية لأفراد المجتمع، وعندها لا يمكن لهضة أن تحقق الاستمرارية بوجود هذا النشور الجمالي، فالمبدأ الجمالي ليس رفاهية إضافية وإنما هو قاعدة أساسية لأزمة في تحقيق النهضة من خلال ما تعمل عليه من تنمية لرأس المال النفسي بالمجتمع، ولم يركز مالك بن نبي على تقديم مفهوم دقيق للتربية الجمالية أو ما أسماه بالتوجه الجمالي للبناء النفسي بالمجتمعات العربية.

أين يرى مالك بن نبي أن بداية البناء الاجتماعي والحضاري بالمجتمعات العربية الساعية لتحقيق النهضة، وتجاوز تبعات الأزمة التربوية التي عطلت طاقاتها ومواردها البشرية والمادية لابد أن تنبني على مبدأ الاستثمار بالتربية الجمالية، وإقامة الصلات الاجتماعية بها على الذائقة الجمالية، لأن الدقة في

⁽¹⁾ يعقوب محمد، الإنسان في فكر مالك بن نبي. مجلة المداد، المجلد 2(العدد 1)، الصفحات 161-180، د.ت، ص 137-174.

ترتيب الأشياء وتنسيقها وتنمية السلوكيات الجمالية اليومية وفق المعطى الجمالي من شأنه أن يوجد مناخ اجتماعي خصب لتحقيق النهضة التربوية؛ انطلاقاً من تحقيق شروطها النفسية الضرورية بالمجتمع، ويقول مالك بن نبي " .. فالجمال الموجود في الإطار يشمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره، ويطبّعها بطابعه الخاص، من الذوق الجميل، أو السماجة المستهجنة"⁽¹⁾

4. التربية العملية ودورها في تجاوز المجتمعات العربية للأزمة الهيكلية:

ويعني مالك بن نبي بهذه التربية: تلك التربية التي تساعد الأفراد على تنمية قدراتهم على الربط بين الفكرة (المجردة) ووسائل تنفيذها (الحسية)، أي تنمية قدرة الأفراد على الاستثمار في ثرواته المادية (تراب، عمل، وقت)، وترجمتها إلى واقع قابل للتحويل والتداول بالواقع الاجتماعي كرأس مال هيكلي، ودون هذا المبدأ ستبقى هذه الثروات راكدة غير مفعلة ولا تحقق الهدف منها، بينما يساعد المنطق العملي الذي تعززه التربية العملية على تحريك الإرادة الحضارية للإنسان؛ لتعزز نمو الأفكار السليمة وانتشارها وتوسعها وزيادة فاعليتها الاجتماعية، وتؤدي التربية العملية (توجيه العمل) بصورة إيجابية إلى تجنب الهدر في الطاقات الإنتاجية والموارد الطبيعية وعالم الأشياء نتيجة العشوائية وقلة التنظيم.⁽²⁾

أما عن الوقت كركيزة للنهضة فلا يتحدد عند مالك بن نبي باعتباره مدة زمنية تقيم بالساعات وإنما كمدة اجتماعية تقاس بحجم العمليات الاجتماعية الصناعية والاقتصادية والثقافية التي تدار في إطار تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة، أي من خلال بعده الوظيفي الاجتماعي فيتحول الزمن من زمن فيزيائي موحد بين كافة المجتمعات إلى زمن اجتماعي يتباين من مجتمع لآخر.⁽³⁾، وذلك من خلال الوسائل والأهداف التي يستغل من خلالها والتي تضمنه قيمة اجتماعية تتبع من المعادلة الاجتماعية للمجتمع الذي يوظفه، لذا فالوقت عند مالك بن نبي قيمة حيوية، وعلى المجتمعات العربية التي تسعى للخروج من أزمتها التربوية والحضارية، أن تربي أفرادها على أهميته الاجتماعية وكيفية استغلاله استغلالاً أمثل ليرتفع حصاد التنمية بالمجتمع.⁽⁴⁾

وبالتالي فالتربية العملية تعمل على تحقيق أهدافها في تجاوز الأزمة التربوية والحضارية بالمجتمع، من خلال ما تقوم على ترسيخه من وعي تاريخي لدى الإنسان العربي المسلم، يقوم على إدراك كيفية إحداث التوازن بين عالم الأفكار وعالم الأشياء من خلال الفكرة الدينية، إذ يشتغل الوعي التاريخي للإنسان عند مالك بن نبي على معادلة بطرفين (عالم الأفكار، عالم الأشياء)، الأول معنوي، والثاني

(1) وفاء عمران، المرجع نفسه، ص 217، 218.

(2) بلال بوترة، المرجع نفسه، ص 174

(3) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: القضايا الكبرى، ط 1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 2000، ص 56.

(4) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 147

محسوس، ووفق الطريقة التي يحرك من خلالها الوعي التاريخي رابطة التفاعل بين هذين العالمين؛ تتحدد القيمة الحضارية لهما وكيفية إدراك معطيات العالم من حولنا. (1)

الخاتمة

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن مالك بن نبي يتكلم حول الأزمة التربوية، في المجتمعات العربية بوصفها أزمة استراتيجية تبدأ من القاعدة المجتمعية، كمشكلة اجتماعية تعلق بالمنطلقات الفكرية والنفسية لتربية أفراد المجتمع، وتحد من فاعليتهم الفردية؛ لتصل إلى قمة المجتمع، هناك تتحول إلى أزمة مجتمعية كلية تمس الفاعلية بشبكة العلاقات الاجتماعية وتعيق قدرة المجتمع على إنتاج حلول لمشكلاته المجتمعية، في كافة المجالات الأخرى، داخل حدود المعادلة المجتمعية للمجتمع، حيث تبدأ باختلال المبدأ الأخلاقي والجمالي والعملي في المنظومة التربوية، ما يوجد اختلالاً معيارياً ووظيفياً بالتوجهات والخيارات الاجتماعية للأفراد، إذ تنقلب المعادلة المجتمعية فلا تعود المعرفة تتماشى طرداً مع المكانة الاجتماعية للأفراد، وإنما تصبح تسير عكسا لها.

ونتيجة لذلك يصل ثلة من الانتهازيين والمنعدمين فكرياً انطلاقاً من معايير المال أو السلطة المجتمعية المشوهة؛ ليكونوا مسيرين وصناع قرار بالمجتمع، فيتجهوا إلى بناء استراتيجياتهم التسييرية على منطق تكديس الأموال والأشياء وفق منطق المصلحة الفردية الضيقة بدل منطق الاستثمار المجتمعي، الذي يحتاج إلى معرفة يفتقدونها فيركزون على استيراد الحلول الجاهزة ينتسبون إلى شرعيتها الحداثية، دون أن تمثلهم في واقع الأمر لمواجهة المشكلات المجتمعية خاصة التربوية؛ للحفاظ على مراكزهم السلطوية، وهو ما ينعكس بانتشار الأفكار القاتلة والمُميتة في المجتمع، ويزيد من تأزم مشكلته التربوية باستلابها ضمن الصراعات السلطوية بين الساسة العاجزين والانتهازيين، ومن منطلق ذلك يدعوا مالك بن نبي، إلى التركيز على القطاع التربوي كنظام استراتيجي بالمجتمع والتأكيد عليه كنظام فعال في التأسيس لقاعدة مجتمعية فعالة؛ تنتج شبكة علاقات اجتماعية قوية تساهم في ميلاد المجتمعات العربية، وميلاد دورتها الحضارية من جديد، وذلك بالتركيز على ثقافة الاستثمار في التربية بأبعادها الجمالية والأخلاقية، والعملية بدلاً من ثقافة التكديس التي يلجأ لها العاجزون، والتي تنتج وعياً حضارياً تاريخياً يتجه إلى المستقبل وبنائه، بقدر ما تنتج وعياً تاريخياً ماضوياً؛ يستغل في إضفاء الشرعية على ما لا شرعية معرفية له بالمجتمع.

التوصيات:

(1) رباني الحاج، المرجع نفسه، ص 546.

- وضع سياسة استراتيجية تربوية شاملة؛ انطلاقاً من المعادلة الاجتماعية للمجتمعات العربية
- من الضروري أن يحظى التعليم المهني بثمنين وتمكين بالمنظومة التربوية العربية لإخراجه من صورته المجتمعية السلبية التي تربطه بالفشل الاجتماعي والتربوي
- مضاعفة التوجه نحو التحول من ثقافة التكديس للموارد والمعارف والمعلومات بالمنظومة التربوية العربية إلى ثقافة الاستثمار التي تركز على الكيف لا الكم

قائمة المراجع العربية :

- أحمد السيد سميرة، مصطلحات علم الاجتماع، مكتبة الشقيري، السعودية، 1997
- براهيم الطاهر، بكوش عبد اللطيف، ملامح الفكر التربوي عند مالك بن نبي، مجلة المداد، المجلد 1 (العدد 2)، الصفحات 7-17، د.ت
- بزاز عبد الكريم، علم اجتماع بيار بورديو، (أطروحة دكتوراه العلوم)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006
- بوترة إبراهيم، نقيل بوجمعة، التنظير التربوي والمدرسة الحضارية في الفكر الإسلامي المعاصر: النظرية التربوية عند مالك بن نبي نموذجا (1905-1973)، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، المجلد 1 (العدد 2)، الصفحات 59-73، د.ت
- بوترة بلال، الفكرة الدينية وبناء الحضارة عند مالك بن نبي. مجلة المداد، المجلد 1 (العدد 2)، الصفحات 170-181، د.ت
- رباني الحاج ، الإنسان والوعي التاريخي: قراءة في فكر مالك بن نبي، مجلة الناصرية، خبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، المجلد 4 (العدد 1)، الصفحات 545-555، جوان 2013
- عمران وفاء، التوجيه الجمالي ودوره في تركيب الثقافة (مقاربة حضارية لـ مالك بن نبي). مجلة أبعاد/مختبر الأبعاد القيمة للتحويلات الفكرية والسياسية بالجزائر، المجلد 7 (العدد 1)، الصفحات 211-224، 30 جوان 2020
- بن ملوكة شهناز، التمثّلات الاجتماعية للمعرفة المدرسية لدى التلاميذ الذين تظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة (أطروحة دكتوراه)، جامعة وهران، وهران، 2014
- مناح رفيق، تحليل سوسيولوجي لديناميكية التشغيل بإقليم تبسة- دراسة ميدانية حول التمثّلات الاجتماعية للمسجلين بالوكالة الولائية للتشغيل-، (مذكرة شهادة الماجستير)، جامعة باجي مختار، عنابة، 2009.
- بن نبي، مالك، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1976

- بن نبي، مالك، العفن، ترجمة: نور الدين خندودي، ج1، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007
- بن نبي، مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الفكر، دمشق، 2002
- بن نبي، مالك، مشكلات الحضارة: بين الرشاد والتيه، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002
- بن نبي، مالك، مشكلات الحضارة: القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 2002
- بن نبي، مالك، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 2002
- بن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق،
- يعقوب محمد، الإنسان في فكر مالك بن نبي، مجلة المداد، المجلد2(العدد1)، الصفحات 161-180، د.ت